

الإنشاء الطلبي في ديوان «لحظات باقية» للشاعر إدريس جماع (دراسة بلاغية نقدية)

أستاذ مشارك - كلية التربية - جامعة كسلا

د. ميرغني حمد ميرغني حمد

باحث دكتوراه - جامعة كسلا

أ. صلاح التوم إبراهيم محمد

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أساليب الإنشاء الطلبي في ديوان الشاعر السوداني إدريس محمد جماع ، ليكون إسهاماً في إثراء الأدب السوداني من باب علم المعاني للفائدة العامة، تجيء أهمية الدراسة في أهمية شعر إدريس جماع وتنوع أساليبه البلاغية، اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة لجملة من النتائج من أهمها: إن أكثر أساليب الإنشاء الطلبي في ديوان (جماع) النداء ، يليه الاستفهام ، ثم الأمر. الكلمات المفتاحية : الطلبي ، الإنشاء ، إدريس جماع، علم المعاني

The Request in Idriss Jammaa's poetry (Rhetorical and critical Study)

Dr. Margani Hamed Margani Hamed

Salah Eltoom Elbrahim Mohmmmed

Abstract:

This study aimed to recognize to ways of request in Idriss Jammaa's poetry to contribute on the Sudanese Literary work through the semantics. The researcher adopted the descriptive analytical method. The importance of the study comes through the importance of the poetry of Idriss Jammaa and the diversity of his rhetorical styles. The research reached numbers of results: The most ways of request in Idriss Jammaa's poetry are calling, interrogative, and ordering.

. **Key words:** request, methods, Idris Jameh, semantics.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين الذي امتلك من البلاغة ما يعجز عنه غيره -محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم- الذي أنزل الله عليه قرآناً فصيحاً بليغاً معجزاً، أدهش العقول بدقة نظمه؛ وبعد... إنَّ البلاغة العربية تتألف من علوم ثلاثة هي: المعاني، والبيان، والبدیع. وميدان البلاغة الذي تعمل فيه علومها هو نظم الكلام وتأليفه، فالبلاغة صلتها بالأدب والشعر وثيقة، وعلم المعاني مبحث من مباحث علوم البلاغة وهو الذي يعيننا في هذه الدراسة، وقد عرّف السكاكي علم المعاني بقوله: «إنَّه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»، ومن موضوعات علم المعاني، الإنشاء وهو قسيم الخبر، فإذا كان الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فإن الإنشاء إذن هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنَّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه، والإنشاء هو الطريقة الرئيسة إلى فهم الأدب وتذوقه والتعبير عما في الحياة من وجوه متباينة، لذلك وقع اختيار الباحثان للإنشاء الطلبي في ديوان شاعرنا إدريس محمد جماع -الشاعر السوداني المعروف-، والذي تميز بالنبوغ والإنسانية، وجاء تركيز الباحثين على الإنشاء الطلبي، لأنَّ الإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لقلّة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية، ولأنَّ أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية أخرى⁽¹⁾.

أسئلة الدراسة :

1. ما أنواع الإنشاء الطلبي الذي تضمنه ديوان الشاعر إدريس محمد جماع؟
2. ما أغراض الإنشاء الطلبي في ديوان الشاعر إدريس محمد جماع ؟
3. ما أكثر أساليب الإنشاء الطلبي في ديوان إدريس جماع ؟

أهداف الدراسة:

1. معرفة أمطاط الإنشاء الطلبي التي تضمنها ديوان الشاعر إدريس محمد جماع.
2. معرفة الأغراض البلاغية للإنشاء الطلبي في ديوان الشاعر إدريس محمد جماع .
3. معرفة الخصائص الفنية في شعر إدريس جماع وما يتركه من أثر في نفس السامع أو القارئ.
4. إثراء الأدب السوداني من خلال إبداعات إدريس جماع وتفردته .
5. بيان المكانة الأدبية للشاعر بين شعراء السودان.

أهمية الدراسة :

1. تنمية الذوق الفني للاستمتاع بالشعر السوداني عموماً وشعر إدريس محمد جماع على وجه الخصوص .
2. الوقوف على الأساليب البلاغية في الشعر السوداني .
3. بيان الأسلوب اللغوي والأدبي والبلاغي في ديوان « لحظات باقية».
4. الإشارة إلى عناوين القصائد التي تناولها في الديوان يعطي بعداً أدبياً وتراثياً وثقافياً
- ويبين لنا مكانة الشاعر بين أدباء العرب.
5. فتح الباب للباحثين لمزيد من الدراسات والبحوث حول شعر إدريس محمد جماع.

منهج الدراسة :

اقتضت طبيعة الدراسة أن يتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وذلك تماشياً مع طبيعة الدراسة .

حدود الدراسة :

الحدود الموضوعية للدراسة هي : الإنشاء الطلبي في ديوان إدريس جماع « لحظات باقية»، الطبعة الرابعة ، 1989م .

الدراسات السابقة :

استطاع الباحثان الحصول على بعض الدراسات السودانية والعربية ذات العلاقة والصلة بموضوع الدراسة الحالية وهي :

دراسة (عثمان ، تاج الدين فضل الله ، 2017) :

أساليب الإنشاء في شعر محمد سعيد العباسي، رسالة ماجستير ، كلية اللغات ، جامعة أدمرمان الإسلامية ، السودان، هدفت الدراسة إلى التعرف على الأساليب الإنشائية في ديوان العباسي، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد خرج البحث بعدد من النتائج منها: أن الإنشاء الطلبي وجد اهتماماً بالغاً من جانب علماء البلاغة والنحو على حد سواء، واستطاع العباسي تطويع الشعر للغة بسيطة مع المحافظة على الوزن، عالج العباسي مختلف الأغراض الشعرية المعروفة وزاد عليها أغراضاً جديدة مثل الشعر الوطني والسياسي وشعر الحنين⁽²⁾.

دراسة (قلوب، حدة ، 2015):

الجملة الإنشائية في شعر مفدي زكرياء دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، تناول الباحث دراسة الجملة الإنشائية في شعر مفدي زكرياء، وتوصل لعدد من النتائج منها: تنوع أساليب الاستفهام من حيث الأداة (الهمزة، هل، كيف، ما بأنماط و صور مختلفة)، واحتلت جملة الأمر المرتبة الأولى عدداً في قائمة الجملة الطلبية في القصائد وذلك لأن الشاعر مفدي أراد أن يلهم الحماس بقصائده الوطنية التي تحث على الثورة والجهاد و لهذا سمي بشاعر الثورة الجزائرية، ويعتمد تركيب الأمر في تأدية الوظيفة على صيغة، افعل إلى جانب الفعل المضارع المقترون بلام الأمر، وتميزت جملة الأمر بتنوع تراكيبها، فأسند الفعل إلى واو الجماعة، والمفرد المخاطب⁽³⁾.

دراسة (لعور، سعاد، 2012):

الجملة الإنشائية في ديوان ذوب القلب لمحمد الشبوكي ، دراسة تركيبية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، هدفت الدراسة إلى تقديم دراسة تركيبية تحليلية للجملة الإنشائية في ديوان ذوب القلب لمحمد الشبوكي، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها : لم يتفق النحاة العرب من تحديد مفهوم الجملة ، لقد أكثر الشاعر في ديوانه استخدام الجملة الإنشائية الطلبية ولم يستخدم الجمل الإنشائية غير الطلبية ، لقد أحسن الشاعر انتقاء الكلمات والأساليب المناسبة للتعبير عن أفكاره⁽⁴⁾.

دراسة(رامول ، أمينة ، 2016):

دلالة الجملة الطلبية في شعر أبي القاسم الشابي، رسالة ماجستير جامعة بسكرة، هدفت الدراسة إلى التعرف على دلالات الجملة الطلبية في شعر أبي القاسم الشابي ، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها: تضمن ديوان « أغاني الحياة » لأبي القاسم الشابي على مجموعة من القصائد تتضمن أساليب الطلب، وإن أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب حضوراً في الديوان⁽⁵⁾.

دراسة (منصور ، أسامة وجيه سعيد ، 2010):

الجملة الطلبية في ديوان دعبل الخزاغي دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، هدفت الدراسة للتعرف على الجمل الطلبية في ديوان دعبل الخزاغي، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها: ديوان دعبل الخزاغي يمثل النموذج الجيد لتطبيق الدراسة المعنوية للجملة الطلبية، وأن الشاعر استخدم الاستفهام بنسبة 23.8% وقد استخدم أدوات الاستفهام كافة، وقد كان الشاعر أكثر استخداماً لجملة الأمر من بقية أنواع الجمل الطلبية الأخرى⁽⁶⁾.

استفاد الباحثان من الدراسات السابقة أيها فائدة ، خاصة في إثراء الإطار النظري للدراسة الحالية، ومنهجية الدراسة، وإن كان هناك حسنة تسجل لهذه الدراسة فإنها حاولت إبراز أنماط الإنشاء الطلبي في ديوان الشاعر إدريس محمد جماع.

إدريس جماع (حياته ، شعره ، ديوانه) : أولاً - حياته :

- جاء في ديوانه⁽⁷⁾، أن إدريس محمد جماع :
- ولد في حلفاية الملوك سنة 1922م والتحق بكتاب⁽⁸⁾ محمد نور إبراهيم قبل التحاقه بالمدرسة الأولية .
 - التحق بمدرسة حلفاية الملوك الأولية سنة 1930 م .
 - التحق بمدرسة أمدرمان الوسطى سنة 1934م وعاقته المصروفات فلم يمكث غير شهرين أو أقل .
 - التحق بكلية المعلمين بخت الرضا⁽⁹⁾ سنة 1936 م .
 - عين مدرسا بمدرسة تنقيسي الجزيرة سنة 1941م.
 - نقل إلى مدرسة الخرطوم الأولية سنة 1943 م .
 - نقل إلى مدرسة حلفاية الملوك سنة 1944 م .
- استقال من وزارة المعارف السودانية وهاجر إلى مصر سنة 1947م والتحق بمعهد المعلمين بالزيتون ، ونقل إلى السنة الثانية والتحق بكلية دار العلوم في العام ذاته بعد أن اجتاز مسابقتها. وفي سنة 1951 نال شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، ثم التحق بمعهد التربية للمعلمين ونال الدبلوم سنة 1952م.
- عين سنة 1952م مدرساً بمعهد التربية بمدينة شندي .
- في سنة 1955م نقل مدرساً بمدرسة السنتين ببخت الرضا، وفي سنة 1956م نقل إلى مدرسة الخرطوم الثانوية ، ثم إلى مدرسة الخرطوم بحري الوسطى .
- من تلك العناصر تألفت حياة الشاعر إدريس جماع في شكلها الرسمي ، ونلاحظ أن معظم حياته قضاها في تحصيل العلم داخل وخارج السودان . وعن نشأته يقول حامد إبراهيم في جريدة الراية القطرية: « ولد جماع في بلدة حلفاية الملوك بالخرطوم بحري في السودان عام 1922، ونشأ نشأة دينية في كنف أسرته المحافظة وكان والده محمد جماع بن الأمين بن الشيخ ناصر شيخ قبيلة العبدلاب، وقد بدأ إدريس تعليمه في سن مبكرة في خلوة حلفاية الملوك حيث حفظ القرآن الكريم ثم التحق بمدرسة حلفاية الملوك الأولية في عام 1930، ومنها إلى مدرسة أم درمان الوسطى بمدينة أم درمان في عام 1934 ولكنه لم يكمل الدراسة فيها لظروف مالية، والتحق في عام 1946 بكلية المعلمين ببخت الرضا، ثم هاجر إلى مصر عام 1947 ليدرس في معهد المعلمين بالزيتون، فكلية دار العلوم - جامعة القاهرة لاحقاً - والتي تخرج منها عام 1951م حائزاً على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، ثم التحق بمعهد التربية للمعلمين ونال دبلوم التربية عام 1952م»⁽¹⁰⁾.
- ### ثانياً - شعره وديوانه:

أصدر إدريس جماع ديوان شعر وحيد باسم «لحظات باقية» وقال في مقدمته: «إن اتجاهي في الشعر ولا أقول مذهبي يحترم الواقع ولكن يريد له الإطار الفني وألا يضمن عليه بالنظرة

الجمالية ويساهم في دفع الحياة إلى الأمام ولا يجرد الشعر من أجنته ولكن يأبي التحليق في أودية المجهول ومتاهات الأوهام ويحب الجديد ليس لأنه جديد ولكن للخلق والابتكار ويحب الإنسان وينفعل للطبيعة، وليس هو رد فعل لاتجاه أو تأكيداً لآخر»⁽¹¹⁾.

ويواصل إدريس جماع بقوله: «هذا هو الطابع في شعري قد انطبع به شيء عامد أو لم أشأ فتكونني في جملته يتجه بي نحو هذه الوجهة، ولو أردت لشعري غير ذلك لعصاني وشق علي، فهذه القصائد هي من نفسي ومطابقة لها، وهي ومضات في حياتي بين الحداثة والكهولة، وأردت لها أن تكون لحظات خالدة». وفي إحدى قصائده وهي «من دمي»⁽¹²⁾.

وعن توجه شعره يقول جماع⁽¹³⁾:

مِنْ دَمِي أَسْكُبُ فِي الْأَلْحَانِ رُوحاً عَطَرَهُ
وَرَوَى النَّفْسَ وَأَنْدَاءَ الْأُمَانِي النَّضْرَةَ
وَشَجُونِي وَحَيَاةً بِالْأَسَى مُسْتَعِرَةً
خَلَقَ الزَّهْرَةَ تَفْنَى لَتَعْيِشَ الثَّمَرَةَ
تَذْهَبُ السَّاعَاتُ مِنْ عُمْرِي قُرْبَاناً لِقُنِي
أَتْبِجُ الْمَوْجَةَ طَرْفِي وَلَهَا أَزْهَفُ أَذْنِي
وَأَنْطَبَاعُ الزَّهْرِ فِي الْغُدْرَانِ يَسْتَوْقِفُ جَفْنِي
وَأَنْتِفَاضَاتُ جَنَاحَيْنِ عَلَى أَوْرَاقِ غُصْنٍ
وَلَقَدْ أَسْبَحُ فِي النَّعْمَةِ مِنْ كَوْنٍ لِكَوْنٍ
هَبَّةً لِقُنِ دُنْيَايَ وَرُوحِي غَيْرَ رَاقٍ

كتب الشاعر السوداني الراحل منير صالح عبد القادر تصديراً لديوان إدريس جماع تحت عنوان (إدريس جماع في وادي عبقر) قال: «إنه عرف الشاعر جماع في أحوال متقلبة وفي أوقات مشرقة وعابسة مبتسمة ومكشّرة، مزدهرة ويابسة وقد اقتحم ميداناً كان جديداً عليه وتركني خلفه أرتقب عودته فما ولا تزال فيثارته ووقعها الحزين اسمعها فأزداد شوقاً، وقال إن شعر جماع هو صراع بين العقل فسار الشاعر إلى عالم المثاليات التي أحبها وعاش فيها قبل تحوله وفي عينيه الحزنتين بقايا دموع تنسكب ليروي بها أزهار وادي عبقر وكان في استقباله بنات عبقر يلوحن له بباقات الورود والرياحين وهو مقدم عليهنّ في وجل متردد، أهازيج الوادي تملأ سمعيه»⁽¹⁴⁾.

يقول حامد إبراهيم عن شعر جماع⁽¹⁵⁾: «يغلب على موضوع شعر جماع التأمل والحب والجمال والحكمة كما كتب أشعاراً وطنية مناهضة للاستعمار، ويتسم أسلوب شعره برقة الألفاظ والوصف فائق الخيال وكثيراً ما يعبر في شعره عن وجدانه وتجاربه العاطفية ووجدان أمته، واصفاً تلك المشاعر الإنسانية فرحاً، وألماً، وحزنًا، كما يزخر شعره بوصف ثورة الناصر الوطني الغيور على حرية وطنه وكرامة أمته، وربط في أعماله الشعرية بين السودان والأمة العربية والإسلامية، فتناول قضايا الجزائر ومصر وفلسطين، ونظم شعراً في قضايا التحرر في العالم، وقد طارد البؤس» إدريس

جماع» حيّاً وميتاً؛ حتى أصبح الرائح والغادي ينشد له أشهر أبيات البؤس⁽¹⁶⁾ :

أنا من حقي الحياة طليقا
ليس إلا لأنني إنسان
هي عندي معنى يجل ويسمو
ليس شيئاً تحده الأزمان
وإذا عشت في سلام مع النفس
فما همني السرى والمكان

ويقول حامد إبراهيم عن قصائده: «كان الشاعر جماع أسيراً للجمال، له فيه نظره الخاصة، وتعبيراته المميّزة، جعلته يبدع أحلى القصائد التي تغنى بها الرائح والغادي من أبناء وادي النيل، وحظيت بنصيب وافر من الشهرة؛ منها رائعته التي يقول فيها⁽¹⁷⁾:

أَعْلَى الْجَمَالِ تَغَارُ مِنَّا مَادًّا عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْنَا؟!
هِيَ نَظَرُهُ تُنْسِي الْوَقَارَ وَتُسَعِدُ الرُّوحَ الْمُعْنَى
دنياي أنت وفرحتي ومنى الفؤاد إذا تمنى
أنت السماء بدت لنا واستعصمت بالبعد عنا

إنّ المطلع على ديوانه (لحظات باقية: يلاحظ أنّ الشاعر إدريس جماع نظم الشعر في معظم أغراضهم وصف، وغزل، وحماس، ووطنية، وهجاء، ورثاء، ومدح وغيرها من أغراض الشعر العربي المعروفة، ولكن ما يسترعي الانتباه في شعر جماع نزعة الإنسانية التي صبغت شعره، ولونته حتى أصبحت سمته الغالبة.

طبع ديوانه (لحظات باقية) ثلاث مرات بتحقيق منير صالح عبد القادر: أبو ظبي 1984 - دار الفكر الخرطوم 1989- دار البلدية بالخرطوم 1998، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على طبعة دار الفكر بالخرطوم، الطبعة الرابعة، بتحقيق منير صالح عبد القادر، سنة 1989م، واحتوت هذه الطبعة على ست وستين قصيدة، والجدول التالي يبين أسماء هذه القصائد حسب ترتيبها في الديوان:

رقم القصيدة	اسم القصيدة	عدد أبياتها
1	من دمي	47
2	نشيد قومي	13
3	هذه الموجة	31
4	رسالة الحياة	6
5	من سعي الكفاح	7
6	أصوات	6
7	نسمة الحرية	11

رقم القصيدة	اسم القصيدة	عدد أبياتها
8	وداع المحتل	16
9	نشيد العلم السوداني	19
10	نضال لا ينتهي	36
11	جنون الحرب	29
12	نشيد لجامعة الخرطوم	21
13	رحلة النيل	35
14	وفد البيان	13
15	السودان	21
16	أنت إنسان	14
18	فجر من الصداقة	25
19	روح السودان	19
20	الفجر المرتقب	10
21	صوت الجزائر	18
22	في وجه العدوان	35
23	لحن الفداء	14
24	الشعر والحياة	5
25	لقاء القاهرة	27
26	ظلمات وشعاع	5
27	في ركاب الأمل	14
28	طريق الحياة	6
29	خلود الشعر	10
30	الشرق يتذكر	108
31	دفين الصحراء	11
32	صانع التاريخ	28
33	النضارة لا الجفاف	3
34	شعاع خبا	12
35	لوعة متجددة	11
36	ذكرى شاعر	23
37	صوت من وراء القضبان	23

رقم القصيدة	اسم القصيدة	عدد أبياتها
38	مقبرة في البحر	24
39	مآسي الحرب	14
40	جمال الحياة	39
41	مجد إنساني	9
42	وقدة الصيف	6
43	الطفل	11
44	نومة الراعي	18
45	بين رسمي واسمي	4
46	أنت السماء	11
47	أُمنا الأرض	17
48	ابنة الروض	12
49	مصب الحياة	16
50	إني لأعجب	19
51	زائر البستان	4
52	الصدى الخالد	17
53	ضمير له حدود	3
54	نحو القمة	16
55	رثاء لا هجاء	4
56	شاعر الوجدان والأشجان	11
57	لحظات الحياة	14
58	ضريبة إنسانية	2
59	نحو الوثبة	64
60	هبة الخالق للإنسان	3
61	عناق قطرين	13
62	قيمة الإنسان	9
63	شاء الهوى	12
64	ربيع الحب	14
65	أنت السماء	11
66	يا ملاك	7

نلاحظ في الديوان أن قصيدة «الفجر المرتقب» كتب عنها، أنها أقيمت بالمهرجان الأديبي بمدينة الأبيض 1945م وأحرزت جائزته وضاع جزء كبير منها، كما يلاحظ الباحث أن قصيدة «أنتالسماء» تكرر في الديوان، وقد أثبتتها الباحثة في الموضوعين في الجدول السابق.

يقول شاعرنا إدريس محمد جماع عن قصائده التي ضمنها هذا الديوان وغيرها من القصائد الأخرى: «ليست هذه المجموعة هي كل ما كان من نظمي، فبعض القصائد ما زال حتى الآن رهن الضياع، وربما وجد مكانه في مجموعة أخرى غير هذه، إذا اتسع لذلك العمر، وبعض نظمي من محاولات الحداثة التي كانت تجد احتراماً، ولكنني أراها دون ما أريد فلم أثبتها في المجموعة ولم أمنحها النسبة إلى شعري».⁽¹⁸⁾

توفي شاعرنا إدريس محمد جماع - رحمه الله -، عام 1980 بعد معاناة مع مرض نفسي أقعده طويلاً بمستشفى الأمراض العصبية بالخرطوم بحري وقد أرسل للعلاج إلى لبنان في عهد حكومة الرئيس السوداني الفريق إبراهيم عبود وعاد إلى السودان دون أن تتحسن حالته الصحية⁽¹⁹⁾، وقد ترك إرثاً وعمراً خالداً، يفوح حباً، يقول في قصيدته «ربيع الحب»⁽²⁰⁾:

في ربيع الحب كنا نتساقى ونغنى
نتناجى ونناجى الطير من غصن لغصن
ثم ضــــــــــــــــاع الأمس مني
وانطــــــــــــــــوت بالقلب حسرة
إننا طيفان في حلم سما وسرينا
واعترضنا نشوة العمر ولكن ما ارتوينا
انه الحب فلا تسأل ولا تعتب علينا
كانت الجنة مأوانا فضاعت من يدينا
ثم ضــــــــــــــــاع الأمس مني
وانطــــــــــــــــوت بالقلب حسرة
أطلقت روحي من الأشجان ما كان سجيناً
أنا ذوبت فؤاديلك لحنا وأنيينا
فارحم العود إذا غنوا به لحنا حزينا
ثم ضــــــــــــــــاع الأمس مني
وانطوت بالقلــــــــلب حسرة

ثالثاً: لغته وأسلوبه :

يقول محمد عبد المجيد: «جاءت لغة جماع معبرة عن إحساسه وشعوره، ومنسجمة مع العصر الذي عاشه، وملائمة للآفاق التي جابها أو التجارب التي عاشها، كما تنوع أسلوبه بتنوع الموضوعات التي عالجها، فوطنياته تمتاز بالثورة والانفعال، وكأنها مرسل يغلي، أو بركان يهدر»⁽²¹⁾، فهذا هو يقول⁽²²⁾: يقول جماع :

قُلُوبِي جَـوَانِبَهَا ضَرَامٌ يفوق النَّارَ وقدا واندلاعا
سَنَاخْذُ حَقْنَا مَهْمَا تَعَالُوا وإن نصبوا المدافع والقلاعا
وإن كتموه فليس يخفى وإن هم ضيعوه فلن يضاعا
في مقابل ذلك نجد الرقة والسهولة والبساطة هي أهم ما يميز لغته وأسلوبه في الشعر ،
فأنظر إلى قوله في وصف الطبيعة⁽²³⁾ :

مزمارك المسحور ينفث ما بنفسك من أثر
فاسمع لأنغام الطبيعة مازجت لجـنـن البشر
والزهرة العذراء تنظر للتدفق في حفر
نلاحظ وضوح المعاني ورقتها، والألفاظ واضحة جلية، كما تلفها البساطة، والمتأمل لشعر
إدريس جماع يلمح أن أسلوبه تأثر بالقرآن الكريم -ولا عجب في ذلك- فنشأته الدينية هي إحدى
مصادر ومكونات ثقافته ، فإذا نظرنا إلى قوله⁽²⁴⁾ :

ما راعها بل أثار النار مــــن دمها
فــــأورد ظالمها شر مــــنقلب
نلاحظ أنه اقتبس مفردات من القرآن الكريم، يقول تعالى : « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » {الشعراء: 227} . وفي قوله⁽²⁵⁾ :

حقد على الإنسان في جنبيه عشش وانتشر
ويعيش محسوبا عليه إنها إحدى الكبر
فقد ضمن أبياته، وأخذ مفرداته من قوله تعالى : « إِنَّهَا لِإِْحْدَى الْكُبَرِ » {المدثر :35} .
ونلاحظ أيضاً في شعره أسلوب التكرار وهو ما يعرف بلاغياً بأسلوب «الذكر» ، وللتكرار دلالات
وأغراض عديدة منها: التلذذ والتعلق بما هو محبب للنفس، التخصيص، التأكيد، التنبيه استيفاء
المعنى، ومن أمثلة ذلك قوله⁽²⁶⁾ :

أنا للفن ما بقيت وفي مصر حمى يرام الفنون ويعلي
منذ فجر الحياة مصر أنالت وثبات الفنون أسمى محل
بالحمى الحر والثقافة والماضي سمت مصر للمحل الأجل
فتكراره لفظة «مصر» لغرض التلذذ والتعلق بذلك المكان، فقد قضى فترة من حياته في
مصر كما مرّ سابقاً، ومن تقنياته الأسلوبية نجد « تقديم ما حقه التأخير»، ولعل خير شاهد على
ذلك قصيدته « صوت من وراء القضبان » التي يقول فيها⁽²⁷⁾ :

على الخُطْب المريع طويت صدري وبحث فلم يفد صمتي وذكرى
وفي لجج الأثير يذوب صــــوتي كسكب قطرة في لج بحر
ويخلص الباحثان إلى أن أسلوب إدريس جماع يتسم، برقة الألفاظ، والوصف فائق الخيال،
وكثيراً ما يعبر في شعره عن وجدانه وتجاربه العاطفية ووجدان أمته، واصفاً تلك المشاعر الإنسانية
فرحاً، وألماً، وحزناً، كما يزخر شعره بوصف ثورة الثائر الوطني الغيور على حرية وطنه وكرامة

أمته، وكثيراً ما ربط في أعماله الشعرية بين السودان والأمة العربية والإسلامية، ففي قصيدة «سعر الكفاح»، نراه يقول⁽²⁸⁾:

سَنَأْخُذُ حَقْنَا مَهْمَا تَعَالَوْا وَإِنْ نَصُبُوا الْمَدَافِعَ وَالْقِلَاعَا
رابعاً- آراء النقاد والكتاب في شعره:

يقول محمد حجاز مذكر في كتابه (إدريس جماع: حياته وشعره)، عن مكانته وشعره: «إدريس محمد جماع شاعر سوداني مرموق له العديد من القصائد المشهورة التي تغنى ببعضها عدد من المطربين السودانيين، وأدرج بعضها الآخر في مناهج التربية والتعليم المتعلقة بتدريس آداب اللغة العربية في السودان، ورغم شهرته في السودان كشاعر مرموق وله مكانة خاصة إلا أنه منسي عريباً، ولم تهتم به الدوائر الأدبية العربية، وهو لا يقل شاعرية عن صلاح عبد الصبور ومظفر النواب ومحمد مهدي الجواهري»⁽²⁹⁾. وحسب ما أكدته معظم النقاد أن أسلوب شعره اتسم بالرقّة والوصف فائق الخيال، ففي قصيدته الغزلية التي يقول فيها⁽³⁰⁾:

أَعْلَى الْجَمَالِ تَغَارُمْنَا؟ مَادَا عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْنَا؟
هِيَ نَظَرَةٌ تُنْسِي الْوَقَارَ وَتُسْعِدُ الرُّوحَ الْمُعْتَى

يقول أحد النقاد إن الأديب والناقد الكبير عباس محمود العقاد عندما قرأ هذه القصيدة أثنى عليها وأشاد بشعره، وقال: «لعمري لا يكتب مثل هذه الأبيات وبهذا الوصف فائق الخيال إلا مجنون حقيقي، ولا يستطيعه ذوو الفكر»⁽³¹⁾.

وعدّ بعض النقاد بيت جماع:

السيف في غمده لا تخشى مضاربه وسيف عينيك في الحالين بتار
أبلغ بيت في الشعر العربي الحديث في الغزل، لتتطابق إحساسه مع مفرداته وألفاظه. وكتب الدكتور عبده بدوي في كتابه «الشعر الحديث في السودان» عن شاعرنا جماع، فيقول: «إن أهم ما يميز الشاعر جماع هو إحساسه الدافق بالإنسانية، وشعوره بالناس من حوله ولا شك أن هذه نغمة جديدة في الشعر السوداني»⁽³²⁾. وكتب عنه عون الشريف قاسم، قائلاً: «لقد كان شعر جماع تعبيراً أصيلاً على شفافيته الفائقة التي رسمت لنا الكلمات وأبرزت بجلاء حسه الوطني». ومما كتبه الأستاذ سيد محمد الياسري عن جماع: «ترك جماع بين القديم والحديث في الشعر أثراً وحساً ووجداناً في الشعب السوداني خاصة، وفي الوطن العربي كذلك»⁽³³⁾. ووفقاً للدكتور تاج السر الحسن الذي شارك في الإشراف على طباعة ديوان جماع فإن شعر جماع يقع في إطار الشعر التراثي العربي، وهو من رواد التجديد الشعري ومن شعراء مدرسة الديوان ضمن مجموعة عبدالرحمن شكري والعقاد وإبراهيم المازني.

لمحة عن علم المعاني:

أولاً- نشأة علم المعاني وموضوعاته:

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز⁽³⁴⁾، حتى جاء عبد

القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري (471هـ)، ووضع نظرية علم المعاني في كتابه «دلائل الإعجاز»، لذا يعد الجرجاني هو واضع أصول علم المعاني ومؤسسه في العربية، وقد ظل هذا العلم إلى يومنا هذا بكامل قواعده البلاغية دون تغيير يذكر، ومن جاءوا من بعده، اتجهوا فقط للتلخيص أو الاختصار أو الشرح، أو التبويب... إلخ.

عرّف أحمد الهاشمي علم المعاني بأنه: «أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له»⁽³⁵⁾.

وعرّفه السكاكي بقوله: «إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره...»⁽³⁶⁾، وحصرت موضوعات ومباحث علم المعاني، كما جاءت في كتاب «المفتاح للسكاكي، كما يلي:

- الخبر والطلب .
- الإسناد الخبري .
- الإسناد ، وبيان أحوال المسند والمسند إليه، من حيث الحذف والذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير، والتخصيص، والمقتضيات البلاغية .
- الفعل ومتعلقاته .
- الفصل والوصل .
- الإيجاز والإطناب .
- القصر وأنواعه وطرقه .
- الطلب، ويندرج تحته، أنواع الطلب الخمسة: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، والنداء؛ وقد ركز الباحثان على هذا الكتاب لأنه حصر موضوعات علم المعاني دون غيره من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه نال شهرة فائقة وظلّ العلماء قرابة خمسة قرون عاكفين على شرحه وتلخيصه وكأنه لم يؤلف غيره في البلاغة.

ثانياً- أثر علم المعاني في بلاغة الكلام:

يمكن القول أن الأثر الذي يحدثه علم المعاني في بلاغة القول يتولد في الواقع من أمرين اثنين، أولاً-بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، والمعاني المستفادة من الكلام ضمناً بمعونة القرائن، وتوضيحاً لهذا للأمر الأوّل يقول عبد العزيز عتيق: «إن مباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، كما ترينا أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلاءم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقى علي، فللمخاطب الذي يلقى إليه خبر من الأخبار مثلاً ثلاث حالات: ففي الحالة الأولى قد يكون خالي الذهن من الحكم الذي هو مضمون الخبر، وعندئذ تقتضي مطابقة الكلام لحاله أن يلقى إليه الخبر مجرداً عن أي تأكيد، وفي الحالة الثانية قد يكون المخاطب على علم ما بالخبر، ولكن علمه به يمتزج بالشك وله تطلع إلى معرفة الحقيقة، وفي هذه الحالة وطبقاً لمقتضيات البلاغة يحسن توكيد الخبر، وفي الحالة الثالثة قد يكون المخاطب على علم بالخبر

ولكنه منكر جاحد له، وفي هذه الحالة يجب أن يلقي الخبر مؤكداً مؤكداً أو أكثر». ثانياً- دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن، فالكلام يفيد بأصل وضعه معنى نطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي، ولكنه قد يخرج أحياناً عن المعنى الذي وضع له أصلاً⁽³⁷⁾، فإذا تأملنا مثلاً قول أبي فراس الحمداني :

ومكارمي عدد النجوم ومنزلي
وكذلك قول أبي العتاهية في رثاء ولده عليّ :

بكيك يا عليّ بدمع عيني
وكانت في حياتك لي عظات

فكلا الشاعرين لا يقصد أيّاً من المعنيين اللذين يدل عليهما الخبر (فائدة الخبر أو لازم الفائدة)، ولكن يقصد إلى معنى آخر، ففي بيت أبي فراس الفخر، وفي بيت أبي العتاهية إظهار التحسر والأسى على فقد ولده.

فكذلك الشأن لأساليب الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، فقد يخرج كل منها عن معناه الأصلي لغرض بلاغي، أرادته المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام .

ثالثاً- الإنشاء:

قسم البلاغيون الكلام إلى قسمين: الخبر والإنشاء، فالخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، أما الإنشاء - وهو ما يعيننا في هذه الدراسة - ف (الإنشاء) لغة: هو الإيجاد، والإبداع ، الارتفاع ، والابتداء⁽³⁸⁾، يقول تعالى: «أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ» {الأنعام:141} ، أي ابتدعها وابتدأ خلقها، والجامع بين هذه المعاني هو أنَّ الإنشاء يفيد الإحداث. وفي الاصطلاح: ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء وغيرها، فإنك إذا قلت: (اللهم ارحمني) لا يصح أن يقال لك: صادق أو كاذب، نعم يصح ذلك بالنسبة إلى الخبر الضمني المستفاد من الكلام، وهو أنك طالب للمغفرة، فالإنشاء إذن هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، وذلك لأنه ليس المدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه⁽³⁹⁾، فشاعرنا إدريس جماع - مثلاً - عندما يقول:

فارحمي العود إذا غنى بي لحناً حزيناً

فقد استعمل أحد أساليب الإنشاء وهو أسلوب الأمر في قوله « فارحمي » وهو بالطبع لا يعني تنفيذ الأمر على وجه الحقيقة، وإنما يلتمس ممن يخاطبها، أن تترفق به، ولا يمكننا أن نقول إنَّ شاعرنا صادق أو كاذب، ومثل هذا ينطبق على سائر أساليب الإنشاء من نهي ونداء واستفهام وتمني ، فليس لمدلول أي لفظ منها قبل النطق به وجود خارجي يعرض عليه مدلوله ويقارن به، فإن طابقه قيل إنه صادق ، وإن خالفه قيل إنه كاذب⁽⁴⁰⁾ . والإنشاء قسمان: طلبي، وغير طلبي؛ فالطلب هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وهو سبعة أنواع: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء، العرض، التحريض ، وكل واحد منها لا يحتمل صدقاً أو كذباً، وإنما يطلب به حصول شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب، لذلك يسمى الإنشاء فيها طلبياً⁽⁴¹⁾ . أمّا

الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله أساليب وصيغ كثيرة مثل: صيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود. وفي الفرق بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي يقول عتيق: «إنَّ الإنشاء الطلبي هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما يقترن فيه الوجودان، بمعنى أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، فإذا قال شخص لآخر زوجُك ابنتي، فقال الآخر: «قبلت هذا الزواج» فإن معنى الزواج أو وجوده يتحقق في وقت التلفظ بكلمة القبول»⁽⁴²⁾، والإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لقلّة الألفاظ البلاغية التي تتعلق به من ناحية، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية أخرى .

الإنشاء الطلبي في ديوان إدريس جماع:

يتناول الباحثان في هذا الجزء من الدراسة، نماذج من شعر إدريس محمّد جماع ، لبعض أساليب الإنشاء الطلبي التي تضمنها ديوانه «لحظات باقية» لتحليلها وبيان أغراض الإنشاء الطلبي في كل أسلوب من أساليب الطلب فيها.

أولاً-الأمر:

الأمر نقيض النهي ، يقال: أمره، وأمر به⁽⁴³⁾، وعرفه الجرجاني بقوله: «قول القائل لمن دونه أفعَل»⁽⁴⁴⁾، واصطلاحاً هو: طلب حصول الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء. واهتم البلاغيون بجملة الطلب عامة وسلكوا طرقاً شتى في تعريفهم للأمر، فعرفه الزمخشري بقوله: «هو طلب الفعل ممن هو دونك وحته عليه»⁽⁴⁵⁾، وأنواع الأمر، إما حقيقي وهو ما كان فيه طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى⁽⁴⁶⁾، مثل قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» {البقرة: 43}، أو غير حقيقي وهو الذي يستعمل في غير طلب الفعل حسب مناسبة المقام مثل قوله تعالى: «فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» {يونس: 38} . ويرد الأمر بأربع صيغ هي:

- 1- فعل الأمر نحو: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) {الإسراء: 78}.
- 2- المضارع المجزوم بلام الأمر نحو: (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) {البقرة: 282}.
- 3- اسم فعل الأمر نحو: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) {المائدة: 105}.
- 4- المصدر النائب عن فعل الأمر نحو: (ذهاباً إلى بيت الله).

وتخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي، فيراد منها معان تفهم بالقرينة، مثل: الدعاء، الالتماس، الدعاء، الإرشاد، التهديد، التعجيز، الإباحة، التسوية، الإكرام ، الامتنان، الإهانة، التمني، التعجب، التخيير، وغيرها من المعاني⁽⁴⁷⁾. ومن أساليب الأمر التي وردت في ديوان شاعرنا إدريس جماع، قوله⁽⁴⁸⁾:

هنا صوت يناديني تقدم أنت سوداني

فجاء الأمر بصيغة فعل الأمر، «تقدم» ، ولم يكن جماع أن يأمر الشعب أمراً حقيقياً على وجه الاستعلاء، ولكن خرج الأمر عن مقتضى الظاهر، ليبدل على غرض بلاغي، وهو الالتماس، حيث

يطلب من جموع الشعب التقدم للبناء والتعمير والذود عن حمى الوطن .
ويقول أيضاً⁽⁴⁹⁾:

أشعلوها فلنْ نَهون وليكن بَعْدَ ما يَكُونُ
فالأمر جاء بصيغة فعل الأمر (اشعل)، وبالمضارع المجزوم بلام الأمر (ليكن) ، ليدل على غرض بلاغي، وهو الإذن، فالحديث في معرض الدعوة لنفير الجهاد، فقد جاء صوته مدوياً، داعياً الشعب ليشعل جذوة الجهاد ضد المستعمر الباغي، ففي نفس القصيدة يقول⁽⁵⁰⁾:
فالجِهَادُ الجِهَادُ مَا دَام فِي السَّوْرَحِ غَاصِبُونَ
ومن أمثلة أسلوب الأمر أيضاً نجده يقول في قصيدته «نشيد العلم السوداني»⁽⁵¹⁾:
أَنْتَ حَرٌّ فَأَمْشِ حَرًّا تَحْتَ خَفَقِ الْعِلْمِ
أَنْتَ حَرٌّ أَمْشِ حَرًّا صَاعِدَا فِي الْقَمَمِ
فهو يلتمس من بني شعبه أن يمشي حراً ألباً بعد أن رُفِرَ العلم السوداني عالياً خفاقاً، وفي قصيدته «نضال لا ينتهي» يقول⁽⁵²⁾:

أَفْسَحُوا الطَّرِيقَ لِحَرِيَّتِكُمْ تَجِدُوا الْجَنَّةَ فِي سَاحَاتِنَا
فالأمر جاء بصيغة فعل الأمر «افسح» وهو التماس أيضاً، إذ يلتمس من بني شعبه أن يتمتعوا بحريتهم التي نالوها بنضالهم، وألا يفرطوا فيها، ومثله أيضاً قوله في نفس القصيدة:
فاجْعَلُوا التَّقْدِيرَ مُنْصَبًا عَلَى مِثْلِ تَحْرُسِ مُسْتَقْبَلِنَا
ومن صيغ الأمر الأخرى التي خرجت عن معناها الأصلي، ما جاء في قوله⁽⁵³⁾:
عُدْ إِلَيْنَا أَيُّهَا الْعَيْدُ غَدًا بِالَّذِي نَنْشُدُهُ فِي غَدْنَا
ففعل الأمر «عد» غرضه التمني، إذ يتمنى أن تعود ذكرى الكفاح والنضال الذي بواسطته تحقق النصر والاستقلال ليحتفلوا ويحتفوا به، وقد حفل ديوانه بالعديد من أساليب الأمر، التي في معظمها تتضمن أغراض: الإرشاد، والالتماس، والتمني .
ثانياً- النهي:

النهي، من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وللنهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة، مثل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا» {النور:27}، ومنهم من يرى أن من صيغ النهي أيضاً الجملة الدالة على النهي، كقولك: (حرام أن تفعل كذا)⁽⁵⁴⁾، وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي للدلالة على معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال، كما كان الشأن بالنسبة للأمر، ومن هذه المعاني: الالتماس، الإرشاد، الدوام، بيان العاقبة، التيسير، التمني، التهديد، التوبيخ، الإيناس، التحقير، وغيرها من المعاني⁽⁵⁵⁾. وبالنظر في ديوان جماع «لحظات باقية»، نجده قد تناول أسلوب النهي كأحد أساليب الإنشاء الطلبي في العديد من قصائده، لأغراض متنوعة، ومن ذلك قوله⁽⁵⁶⁾:

إِنَّهُ الْحُبُّ فَلَا تَسْأَلْ وَلَا تَعْتَبْ عَلَيْنَا

فقد جاء النهي في قوله (لا تسأل، ولا تعتب) من باب الالتماس، والإناس، إذ يطلب ممن يخاطبهم ألا يلومونه في حبه، فهو ليس له إلا ابتسامات الحب التي تشع له نور في ظلمات الدهر، ونستشف في البيت «عتاب» لمن أحبها وغدرت به، ولعل الموقف الشعري في قصيدته هذه «ربيع الحب» يؤكد ذلك إذ يقول⁽⁵⁷⁾ :

ثُمَّ صَاعَ الْأَمْسُ مَنَا وَانطَوْتُ فِي الْقَلْبِ حَسْرَةً

ويقول :

بَعَثْتُ فِيهِ حَيَاةَ حُرَّةٍ وَسَمْتُ فِيهِ وَقَالَتْ : لَا تَنْمِ

يخاطب الشاعر نفسه ويطلبها بعدم الغفلة (لا تنم) في معرض حديثه عن موجة التحرر من المستعمر البغيض، التي انتظمت البلاد وحققت استقلاله إلى أن تم رفع العلم السوداني عام 1956م ، في دلالة واضحة ودعوة صريحة للمحافظة على هذا الاستقلال، ومن خلال أسلوب النهي هذا، يبت الشاعر ما في نفسه من نزعة وطنية صادقة، ونراه يلتمس ممن يهواها ألا تحزن، إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، فيقول في قصيدته « ظلمات وشعاع»⁽⁵⁸⁾:

إذا مت لا تحزني إنني تراب يعود إلى بعضه
لقد جعلتني ليالي العذاب ألد الملمات على بغضه
وما كان عيشي هنيئاً فأذكر ما كان بالأمس من غضه

نلاحظ أن الشاعر من خلال استخدام أسلوب النهي في قوله «لا تحزني» يحاول أن يفرغ حمولة نفسه وهمومها، وهذا دلالة على الثقل النفسي الذي يحس ويشعر به الشاعر. ولم يعثر الباحثان من أساليب النهي في ديوان شاعرنا سوى ثلاثة مواضع فقط، وهي ما ذكر آنفاً - على حسب علم الباحثان- وهذا دلالة على أن شاعرنا لم يكثر في شعره من أساليب النهي، ربما تجنباً لاستخدام «لا» الناهية، التي لا تتواءم مع طبعه، فجماع كما عرف عنه أنه شاعر رقيق مرهف، فإمساكه عن استخدام «لا» الناهية أو غيرها من اللات، يجعلنا نستعير قول الفرزدق في مدح علي بن الحسين بن علي، لنصف به شاعرنا جماع :

مَا قَالَ: لَا، قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ لَوْلَا التَّشْهيدُ كَانَتْ لَأَوْهُ نَعَمٌ

ثالثاً- الاستفهام:

من أنواع الإنشاء الطلبي الاستفهام، وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة⁽⁵⁹⁾، وأدوات الاستفهام هي: «الهمزة»، «هل»، «كيف»، «كم»، «من»، «أين»، «أيان»، «ماذا»، «أنتي»، «ما»، وهذه الأدوات لها صدر الكلام⁽⁶⁰⁾، وتنقسم هذه الأدوات بحسب التصور والتصديق إلى ثلاثة أقسام :

- ما يختص بطلب التصور تارة والتصديق تارة أخرى ، وهي «الهمزة» .
- ما يختص بطلب التصديق ، وهو «هل» .
- ما يختص بالتصور لا غير ، وهو بقية أدوات الاستفهام .

والاستفهام حقيقي، وغير حقيقي، لأنه يمكن أن تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً⁽⁶¹⁾، ولأغراض بلاغية تفهم من السياق، يقول عتيق: «أدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال»⁽⁶²⁾، ومن هذه الأغراض: الأمر، النهي، التسوية، النفي، الإنكار، التشويق، التقرير، التهويل، التعجب، التهكم، الوعيد، وغيرها من المعاني المتعددة.

وقد وردت الجملة الاستفهامية في ديوان إدريس جماع، في عدة مواضع، وتوزعت وتنوعت بخروجها عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية مختلفة، ومن ذلك قوله⁽⁶³⁾:

هَلْ سَأَلْتُ الرُّنْبَقَ الْفَــــوْاحَ عَنْ سِرِّ الْعَبِيرِ

البيت من قصيدة «من دمي» التي مطلعها :

مِنْ دَمِي أَسْكُبُ فِي الْأَلْحَانِ رَوْحاً عَظِيراً

استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام وخرج به عن معناه الحقيقي إلى «التشويق»، وهو يرمى بذلك لترغيب المخاطب واستمالاته، لمشاركته آهاته وشجونه، ومن أساليب الاستفهام التي خرج بها إلى المعنى المجازي، قوله⁽⁶⁴⁾:

مَا الَّذِي يَجْنِيهِ مِنْ بَرَكَةِ دَمٍ غَيْرِ بُغْضِ الشَّعْبِ مَا دَامَ عَزَمَ

فهو يستنكر على المحتل ما يفعله تجاه الثورات الوطنية التي اندفعت نحو نيل حريتها، بإراقة دماهم الزكية الطاهرة، إنه أسلوب بليغ، وتصوير للفعل الشنيع الذي يرتكبه المستعمر مع الشعوب صاحبة الأرض، والتي لا يجنى منها المستعمر سوى مزيد من البغض والكرهية. وفي قصيدته «وداع المحتل» يقول:

أَيِّنَ مِنْهَا النَّبَاتُ وَنَضِيرُ الْوُشَاحِ

حيث يتعجب الشاعر بأسلوب استفهامي معبر، عما خلفه الاستعمار من جفاف للأرض، وضياع للثروات، ففي نفس القصيدة يكرر ذلك بأساليب أخرى حين يقول⁽⁶⁵⁾ :

تَرَكُــــوْهَا مَوَاتٍ لِسَوَافِي الرِّيَــــاحِ

ويتواصل مد الأساليب الاستفهامية في ديوان جماع، لتبرز من خلالها مختلف الأنماط والأغراض البلاغية، ففي تصوير نهر النيل الخالد في رحلته نحو المصب عبر المدن والمغاني والعصور يقول⁽⁶⁶⁾ :

هَلْ ثَارَ حِينَ رَأَى قِيداً يُكْبَلُهُ عَلَى الثَّرَى فْتَمَشَّتْ فِيهِ نِيرَانُ

فالشاعر يتحدث عن جبل «الرجاف» الذي ثار وماج عندما أحاطته مياه النيل الخالد، في طريقها نحو المصب، ليرسم لنا صورة تقريرية رائعة، لما تعرض له الجبل من تكبيل وتقييد بفعل الأمواج المتلاطمة ، ومن أساليب الاستفهام الأخرى قوله⁽⁶⁷⁾:

إِنْ رَأَيْتَ الشَّيْخَ يَرْعَاهُ السَّقَمُ أَتَرَى فِي النَّفْسِ شَدَواً مِنْ نَعْمِ

وفي قصيدته «الشرق يتذكر» يجد القارئ حسن توظيف أساليب الاستفهام على غط يخرجها من صيغها الأصلية إلى التنبيه والتذكير، ومن ذلك قوله⁽⁶⁸⁾ :

أين نام الأمير ها هو ساج في الثرى وهو عاهل الأعراب
أين حراسه وأين الحواشي والجواري وطلعة البواب
راقه عدله فنام ولو كان ظلوماً لهاب مر الذباب

فقد صاغ أسلوب الاستفهام بمعنى الأمر «أين نام الأمير» و «أين حراسه»، معناه «أخبرني» أين نحن اليوم من ابن الخطاب رضي الله عنه وهو عاهل العرب جمعاء، الذي عدل فنام نوم قرير العين هانيها، وضمن شاعرنا معانيها من القصيدة العمرية وهي واحدة من أشهر قصائد مدح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي للشاعر حافظ إبراهيم، ولا عَرَوْ، فالأمر والاستفهام أخوان من الأساليب الإنشائية التي تجمع في إطار الطلب. وقد حفل ديوان الشاعر جماع بكثير من أساليب الاستفهام التي خرجت عن معانيها الحقيقية إلى معان بلاغية مجازية، ففي قصيدة «أنت السماء» التي تعد من الومضات الأولى لشاعرية جماع يقول⁽⁶⁹⁾ :

أعلى الجمال تغار منا ماذا عليك إذا نظرنا

استفهام استنكاري، حيث يستنكر على من يخاطبها، كيف لها أن تغار من أن ينظر إلى جمالها الفتان، فنرى كيف وظف شاعرنا أسلوب الاستفهام لتحريك العاطفة القادرة على اجتذاب المشاعر الجياشة.

رابعاً- التمني:

التمني من أنواع الإنشاء الطلبي، وعرفه التفتازاني بقوله: «وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة»⁽⁷⁰⁾، ومن هذا يتضح أن التمني طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيته⁽⁷¹⁾، كقول أبو العتاهية: ألا ليت الشباب يعود يوماً، وقوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) {القصص: 79}. وذكر العلماء أن للتمني أدوات غير «ليت» تستعمل فيه مجازاً، ومن تلك الأدوات: هل، لو، لعل. إن أسلوب التمني أسلوب طلبي يلجأ إليه الشاعر عندما يفصل عن شيء يريد تحقيقه، وهو أسلوب يسهم في بناء البيت الشعري⁽⁷²⁾، والناظر إلى ديوان جماع يجد أنه لم يستخدم أسلوب التمني إلا في خمسة مواضع، وجميعها جاء بغير أداة التمني الرئيسية (ليت)، ومن تلك المواضع قوله⁽⁷³⁾ :

لو أدركوا قيمة الإنسان ماجمحت بهم لمقتل حر نزوة الأرب

فالشاعر يتمنى بالأداة (لو) إن كان أدرك الغزاة لمصر قيمة الإنسان، لما كانوا قتلوا ما قتلوا، وأيضاً في قصيدة «الشرق يتذكر» يتمنى لو وعوا الذين أشعلوا الحرب في الشرق من الأتراك وغيرهم، أهمية السلم وروح الإخاء، لما كانوا قدسوا الحروب وجعلوها ديدنهم، فيقول⁽⁷⁴⁾ :

قدسوها ولو وعوا قدسوا السلم وروح الإخاء في الأحباب
وفي قصيدته الغزلية (يا ملاك)، يقول⁽⁷⁵⁾ :

نتنأجى بما مني العهود آه العهود لو كان تعود

فيتمنى لو تعود له أيام الحب والمناجاة، فاستخدم (لو) بمعنى (ليت) لأن التمني صعب الوقوع بعيد المنال، وهكذا نجد ديوان إدريس جماع زاهر يمثل هذه الأساليب البيانية.

خامساً- النداء:

النداء، هو طلب توجه المخاطب إلى المتكلم بحرف يفيد معنى (أنادي)، وعرفه المراغي، بقوله: «هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل مثل، أدعو ونحوه»⁽⁷⁶⁾، وأدواته ثمان: يا، والهمزة، وأي، وآي، ووآ، وأيا، وهيا، ووا⁽⁷⁷⁾، ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معان وأغراض أخرى تفهم من السياق، يقول: قد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى⁽⁷⁸⁾، مثل: الإغراء، التحسر، الزجر، الاستغاثة، التعجب، الندبة، الاختصاص.

فالنداء أحد أساليب الإنشاء الطلبي المهمة التي تسهم في تشكيل لغة الشاعر، والمتأمل في ديوان إدريس جماع يجد أنه أكثر من استخدام النداء، ومن مواضع استخدام النداء فيه، قوله⁽⁷⁹⁾:

فيا وطني سلمت غداً نحقق مشرق الأمل

فنادى الشاعر (وطنه) وخرج النداء عن معناه الحقيقي إلى المجازي، وأفاد «الحنين والاشتياق»، وقد جاء النداء مصوراً لما في نفس الشاعر من وطنية صادقة تجاه وطنه السودان، ومن النداء الذي خرج عن معناه الحقيقي في ديوان الشاعر⁽⁸⁰⁾:

عُد إلينا أيُّها العيد غداً بالذي ننشده في غدا

فجاء النداء هنا ليفيد «الاختصاص»، فالشاعر خص عيد الحرية والنصر والاستقلال بأن يعاود وألا ينقطع، وقد أكد ذلك من خلال قصيدته «نضال لا ينتهي» التي أنشأها من وحي الذكرى الأولى للحرية، فيقول فيها⁽⁸¹⁾:

جئت يا عيد بألوان الجنى والنضارات إلى سرحتنا

اصدحي يا نفس في فيض السنن وانسجي سحر المرآي

وفي قصيدته «جامعة الخرطوم» يقول⁽⁸²⁾:

يا منار العلم والعلم حياة شعبنا

فهنا يصف الشاعر جامعة الخرطوم بأنها منارة العلم، ويثبت بأن العلم حياة، في إشارة واضحة بأهمية العلم ودوره المتعاظم، ففي نفس القصيدة يقول⁽⁸³⁾:

فاسعدي يا موطن العلم ويا أرض الجود

وكثيراً ما يشير الشاعر إلى دور العلم، ففي قصيدته «بخت الرضا» يقول⁽⁸⁴⁾:

يا معهدا علم الجهاد بكفه اليمنى وبالسرى مصابيح الهدى

وقد شكلت جملة النداء محوراً انطلق من خلاله الشاعر جماع للتعبير عن مختلف المعاني والدلالات والأغراض البلاغية، فمن أغراض النداء التي طرقها الإغراء كما جاء في قوله⁽⁸⁵⁾:

إن في الأعماق صوتاً صاح يا حرّ تقدم

وقد ورد النداء بصيغة (يايها) كما جاء في قصيدته «الشرق يتذكر»⁽⁸⁶⁾:

أيُّها الحادي انطلق واصعد بنا وتخير في الذرى أطولها

كذلك نلاحظ أن من أغراض النداء في ديوان الشاعر جماع، الفخر ومن ذلك ما ورد في قصيدته «وفد البيان»⁽⁸⁷⁾:

يا وفد حياك الربيع وطالما أسر المشاعر زاهيا مترغا وفد البيان
حيث يفخر بوفد الصحافة السوداني بيت السودان في القاهرة أيام استعار الحركة الوطنية،
ويمجدهم ويمجدهم في نفس القصيدة بقوله⁽⁸⁸⁾:

أنا ما نظمت الشعر يوم لقائكم لكنما طربي طغى فتكلما
وقد نلاحظ في ديوان شاعرنا جماع أنه غمر (مصر) بفائق التعظيم من خلال أسلوب
النداء ومن ذلك قوله⁽⁸⁹⁾:

يا مصرُ بددت أحلام الغزاة ضحى وخايلت وهمهم أمنية الغلب
وقوله⁽⁹⁰⁾:

نازلت يا مصر من راموك واعتفوا ونحن بين شديد السخط والعجب
وقوله⁽⁹¹⁾:

يا مهجراً للأنبياء وقبر سائر من ظلم
ففي كل أسلوب نداء فيما ورد أعلاه، نجد غرضه التعظيم والتشريف لمصر، وفي مقابل غلبة
استعمال الأداة (يا) انعدم استعمال أدوات النداء الأخرى في ديوانه، ولا غرابة في ذلك، فلم يقع نداء
في القرآن إلا بأداة النداء (يا)، أمّا المنادي في ديوانه فقد تنوع وجاء في أغلب الأبيات على صورة
المضاف، وصورة المفرد العلم.

الخاتمة:

وقفت هذه الدراسة على التعرف على أمهات الإنشاء الطلبي في ديوان «لحظات باقية»
للشاعر إدريس محمد جماع، التي تنوعت بين الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، ورصد
دلالاتها البلاغية التي أسهمت في إثراء المعنى من خلال انتقالها من معانيها الأصلية إلى معاني
بلاغية تفهم من السياق، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، من أهمها:

1. إن الشاعر إدريس محمد جماع شاعر فذ، تغني بالحرية والاستقلال لوطنه، وقد
ساهم بشعره في تشكيل الوجدان السوداني.
2. لغة الشاعر إدريس جماع وأسلوبه لهما الدور الكبير في رسم المشاعر الوطنية، مما
أدى إلى اختيار شعره ليكون من مقررات اللغة العربية في المدارس الأساسية والثانوية
بالسودان، كما تغني بشعره عدد من المطربين في السودان.
3. وجد شعر إدريس محمد جماع الثناء والإشادة من كبار النقاد والأدباء في العالم
العربي.
4. تناول الشاعر جماع في ديوانه كل أساليب الإنشاء الطلبي وهي: الأمر، النهي،
الاستفهام، النداء، والتمني، بنسب متفاوتة.
5. يكاد أسلوبا النهي والتمني أن يختفيا من ديوان الشاعر إدريس جماع، وقد ورد
أسلوب النهي في ثلاثة مواضع وأسلوب التمني في خمسة مواضع، وقد جاء أسلوب
التمني بالأداة «لو» دون سائر أدوات التمني الأخرى.

6. إن أكثر أساليب الإنشاء الطلبي في ديوان إدريس جماع النداء ، يليه الاستفهام ، ثم الأمر .

ويوصي الباحثان بالآتي :

1. إجراء دراسات أخرى حول شعر إدريس جماع تتناول جوانب بلاغية أخرى .
2. تضمين عدد أكبر من قصائد إدريس جماع في مناهج التعليم العام بالسودان .
3. إجراء دراسات بلاغية أخرى حول شعراء سودانيين آخرين .

الهوامش :

- (1) عتيق، عبدالعزيز: علمالمعاني، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص74.
- (2) عثمان، تاج الدين فضل الله : أساليب الإنشاء في شعر محمد سعيد العباسي، رسالة ماجستير، كلية اللغات ، جامعة أمدرمان الإسلامية، السودان، 2017.
- (3) **قلوح، حدة:** الجملة الإنشائية في شعر مفدي زكرياء دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، 2015.
- (4) **لعور، سعاد:** الجملة الإنشائية في ديوان ذوب القلب لمحمد الشبوكي ، دراسة تركيبية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، 2012.
- (5) **رامول ، أمينة:** دلالة الجملة الطلبية في شعر أبي القاسم الشابي، رسالة ماجستير، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016 .
- (6) **منصور ، أسامة وجيه سعيد:** الجملة الطلبية في ديوان دعبل الخزاعي دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2010.
- (7) جماع، إدريس محمد: ديوان لحظات باقية، دار الفكر، الخرطوم، ط4، 1989، ص137.
- (8) الكتاب هي (الخلوة وجمعها خلاوي) وهي مدارس قرآنية في السودان أشبه بمدارس الكتاتيب في مصر.
- (9) معهد التربية بخت الرضا تأسس في عام 1934، على يد مستر غريفيث بالإنجليزية: Mr. Griffiths باسم معهد التربية بخت الرضا نتيجة لتقرير اللجنة التي كونها الحاكم العام للسودان سنة 1930 بعد انتهاء إضراب طلاب كلية غوردون وبعد المذكرة التي قدمها "ج. س. سكوت" المفتش الأول للتعليم منتقداً فيها سياسة التعليم ونظمه، وداعياً إلى إجراء إصلاحات أساسية. ينظر: موقع المعرفة (web).
- (10) إبراهيم، حامد : إدريس جماع شاعر سوداني منسي عربياً، جريدة الراية، شركة الخليج للنشر والطباعة، قطر، فبراير 2010 .
- (11) جماع، إدريس محمد : ديوان لحظات باقية، دار الفكر، الخرطوم، ط4 ، 1989، ص17.
- (12) المرجع السابق، ص17.
- (13) المرجع السابق، ص18.
- (14) صالح ، منير عبد القادر، محقق ديوان (لحظات باقية): أبو ظبي 1984، ص4.
- (15) إبراهيم، حامد : إدريس جماع شاعر سوداني منسي عربياً، مرجع سابق، ص34.
- (16) ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص 124.
- (17) المرجع السابق، ص16.
- (18) مرجع سابق، ص74.
- (19) <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (20) جماع 'إدريس محمد : ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص129.

- (21) عبد المجيد ، محمد محبوب محمد : تشكيل اللغة وبناء الأسلوب في شعر إدريس جماع ، مجلة دراسات اللغة العربية ، العدد 6 ، 2014 ، ص 107.
- (22) جماع 'إدريس محمد : ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص 25.
- (23) المرجع السابق، ص 99.
- (24) المرجع السابق، ص 42.
- (25) المرجع السابق، ص 108.
- (26) المرجع السابق، ص 125.
- (27) المرجع السابق، ص 87.
- (28) المرجع السابق، ص 17.
- (29) مدثر، محمد حجاز: إدريس جماع حياته وشعره، الدار السودانية ، الخرطوم، ١٩٨٣، ص 13.
- (30) ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص 11.
- (31) موقع ديوان العرب، الإنترنت.
- (32) بدوي، عبده، الشعر الحديث في السودان، ص 24.
- (33) الياسري، سيد محمد: مجلة أضواء مصر، يونيو 2016.
- (34) عتيق ، عبد العزيز: علم المعاني ، مرجع سابق، ص 25.
- (35) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم : جواهر البلاغة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ج 1 ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2008، ص 35.
- (36) السكاكي، المفتاح، ص 30.
- (37) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 37.
- (38) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي : لسان العرب ، ج 1، دار صادر بيروت ، ص 173.
- (39) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 69.
- (40) المرجع السابق، ص 71.
- (41) المرجع السابق، ص 74.
- (42) المرجع السابق، ص 74.
- (43) ابن منظور ، لسان العرب، مرجع سابق، ص 27.
- (44) الجرجاني ، عبد القاهر : التعريفات ، شرح محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص 40.
- (45) الزمخشري : الكشف عن حقائق وعيون الأقاويل ، دار الفكر ، ج 2 ، ص 91 .
- (46) الصعدي ، عبد المتعال : بغية الإيضاح ، مكتبة الآداب ، مصر ، ج 1 ، ص 32 .
- (47) ينظر: باركا، نايس (Nice Barca)، منتديات ستار تايمز (web)، أرشيف الدراسة والمناهج التعليمية ، 2007 .

- (48) ديوان لحظات باقية ص 16.
- (49) المرجع السابق، ص 26.
- (50) المرجع السابق، ص 39.
- (51) المرجع السابق، ص 39.
- (52) المرجع السابق، ص 36.
- (53) المرجع السابق، ص 76.
- (54) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 40.
- (55) المرجع السابق، ص 56.
- (56) ديوان لحظات باقية ص 129.
- (57) المرجع السابق، ص 14.
- (58) المرجع السابق، ص 64.
- (59) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 88.
- (60) الجرجاني ، عبد القاهر : التعريفات ، شرح محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 3.
- (61) السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ، ص 79 .
- (62) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 95.
- (63) ديوان لحظات باقية ص 17.
- (64) المرجع السابق.
- (65) المرجع السابق.
- (66) المرجع السابق.
- (67) المرجع السابق.
- (68) المرجع السابق.
- (69) المرجع السابق، ص 102.
- (70) التفتازاني ، سعد الدين : تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ج 2 ، ص 239.
- (71) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 112.
- (72) الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ، ج 2، ص 332.
- (73) ديوان لحظات باقية، مرجع سابق.
- (74) المرجع السابق.
- (75) المرجع السابق، ص 7.
- (76) المراغي ، أحمد : علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986 ، ص 81.
- (77) المرجع السابق، ص 81.
- (78) عتيق ، عبد العزيز : علم المعاني، مرجع سابق، ص 118.
- (79) ديوان لحظات باقية ص 13.

- (80) المرجع السابق.
(81) المرجع السابق.
(82) المرجع السابق، ص 21.
(83) المرجع السابق، ص 21.
(84) مدثر، محمد حجاز: إدريس جماع حياته وشعره، مرجع سابق.
(85) ديوان لحظات باقية، مرجع سابق.
(86) المرجع السابق، ص 108.
(87) المرجع السابق، ص 13.
(88) المرجع السابق، ص 27.
(89) المرجع السابق.
(90) المرجع السابق.
(91) المرجع السابق.